الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أورد الإمام مسلم في صحيحه حديث العباس بن عبد المطلب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً":

المعنى الإجمالي :

وقد ذكروا أن الطعم ما يؤديه الذوق، والتذوق فعل نتيجته استبانة الطعم، فهو اختبار الطعم، وقد أثبت الحديث أن للإيمان طعماً أما مذاقه فحلو، كما في حديث أنس في الصحيحين: "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان" الحديث. وهذه الحلاوة أداة تذوقها القلب واللسان والجوارح، ويجد المرء أثر ذلك في نفسه، بخلاف المطعومات فذوقها يكون باللسان وإثر ذلك ينبعث في النفس شعور يقتضيه المذاق بحسبه، فكذلك أعمال الإيمان منها ما يكون بالقلب ومنها ما يكون باللسان ومنها ما يكون بالجوارح ولكلها مذاق يجد المرء مقتضاه الحلو في نفسه، والقلب لابد له من أثر في جميع ذلك فهو أصل الأعمال، وأنت ترى أن بعض الموفقين يحسن بكلمة طيبة إلى مظلوم أو مسكين فيجد في نفسه شعوراً عجيباً، وآخر يعطي فقيراً مالاً فما أن يتناوله من يده حتى ينصرف بشعور عجيب ينقذف في نفسه، وآخر يتفكر في كلام الله تعالى فيجد في نفسه شعوراً لا يعدله شعور بمتعة طعام! والتذوق بغير اللسان وفضله على ما يجده من تذوق بلسانه مشهور معلوم يجده المرء حتى في كثير من متع الدنيا التي يحصلها الناس بالحق وبالباطل، وللناس فيما يعشقون مذاهب، وقد عرف ابن القيم رحمه الله الذوق تعريفاً مستمداً من فوائد شيخه فقال: "الذوق مباشرة الحاسة الظاهرة والباطنة للملائم والمنافر، ولا يختص ذلك بحادسة الفم في لغة القرآن، بل ولا في لغة العرب، قال الله تعالى: {وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [الأنفال: 50 – الحج: 22]، وقال: {فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} [آل عمران: 106– الأنعام:

30– الأنفال: 35– الأحقاف:34]، وقال تعالى: {هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ} [ص: 57]، وقال: {فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [النحل: 112]، فتأمل كيف جمع بين الذوق واللباس ليدل على مباشرة المذوق وإحاطته وشموله، فأفاد الإخبار عن إذاقته أنه واقع مباشر غير منتظر، فإن الخوف قد يتوقع ولا يباشر، وأفاد الإخبار عن لباسه أنه محيط شامل كاللباس للبدن. وفي الصحيح عنه: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً)، فأخبر أن للإيمان طعماً، وأن القلب يذوقه كما يذوق الفم طعم الطعام والشراب... وهذا الذوق هو الذي استدل به هرقل على صحة النبوة حيث قال لأبي سفيان: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه؟فقال: لا.قال: وكذلك الإيمان إذا خالطت حلاوته بشاشة القلوب فاستدل بما يحصل لأتباعه من ذوق الإيمان، الذي إذا خالطت بشاشته القلوب لم يسخطه ذلك القلب أبداً؛ على أنه دعوة نبوة ورسالة لا دعوى ملك ورياسة. والمقصود أن ذوق حلاوة الإيمان والإحسان أمر يجده القلب، تكون نسبته إليه كنسبة ذوق حلاوة الطعام إلى الفم، فللإيمان طعم وحلاوة يتعلق بهما ذوق ووجد، ولا تزول الشبه والشكوك عن القلب إلا إذا وصل العبد إلى هذه الحال فباشر الإيمان قلبه حقيقة المباشر فيذوق طعمه ويجد حلاوته والله الموفق" [مدارج السالكين 89/3]. وبعد كل هذا من لم يجد هذا الطعم، أو يعرف هذا التذوق، فليراجع إيمانه، وليتفحص صحة قلبه، وليعلم أن العيب فيه، وليتحسر على إصابته في أعظم الحواس! قال ابن القيم: "إن سرور القلب مع الله وفرحه به وقرة العين به لا يشبهه شيء من نعيم الدنيا البتة وليس له نظير يقاس به وهو حال من أحوال أهل الجنة حتى قال بعض العارفين: إنه لتمر بي أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب!ولا ريب أن هذا السرور يبعثه على دوام السير إلى الله عز و جل، وبذل الجهد في طلبه وابتغاء مرضاته، ومن لم يجد هذا السرور ولا شيئاً منه فليتهم إيمانه وأعماله، فإن للإيمان حلاوة من لم يذقها

فليرجع وليقتبس نوراً يجد به حلاوة الإيمان! وقد ذكر النبي ذوق طعم الإيمان ووجد حلاوته فذكر الذوق والوجد وعلقه بالإيمان فقال: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً)، وقال: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار)، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحاً فاتهمه! فإن الرب تعالى شكور؛ يعني: أنه لابد أن يثيب العامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه وقوة انشراح وقرة عين فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول" [مدارج السالكين

. وللحديث فوائد كثيرة نذكر منها:

1– الايمان له طعم وحلاوة والفرق بينهما ان الطعم يبدو في اوله فاذا دخل جوفه عرف حلاوته ولذلك ندرك ان حلاوة الايمان اجل من طعمه.

2– العبادات لها طعم يتذوقه من سلك سبله وعرف ابوابه.

3– اصول هذا الدين لها ظاهر يتعلق بالجوارح ولها باطن يتعلق بالقلب فاتقن القسمين.

4– الإيمان له طعم والإحسان له طعم والإسلام له طعم ومن أراد معرفة ذلك فلينظر الى بكاء المسلمين الجدد ودموع الخاشعين انهم يتلذذون بعدها.

5– من رضي بالله ربا: يعني اطمأن إليه وأحبه وتوكل عليه وتعلق به لأن الرضا معنى قلبي يتضمن ذلك وما هو أكثر منه.

6– الرضا بربوبية الله يعني الرضا بكونه خالقا رازقا مدبرا يحيي ويميت ويخفض ويرفع ويعز ويذل وينفع ويضر يتصرف بخلقه كما يشاء لامعقب له

7– في الأثر: ابن آدم أرضَى بنا ربا نرضك لنا عبدا ، اذا وجدت العبد مصروفا عن العبودية فاعلم ان الله قد اعرض عنه ومن خلط ، خلط عليه.

8- تأمل الرضا بالله ربا لتعلم التلازم بين الربوبية والألوهية وتعلم تناقض البشر حين فرقوا بينهما بغير سلطان أتاهم.

9- الرضا بالإسلام دينا ان تحب الاسلام وتحب الانتساب اليه ولاتستح من ذلك وتفضل الانتساب اليه على كل انتساب من التيارات والجماعات.

10- الرضا بالإسلام يقتضي العمل بفروضه وتجنب محرماته ويقتضي الفرح بأداء فروض هذا الدين والتلذذ بذلك أعظم من تلذذ اهل المعاصي

11- الرضا بالإسلام يستلزم التعرف على تفاصيله والبحث عنها والسؤال لذلك ويقتضي محبة العاملين بالاسلام والداعين له والمنافحين عنه

12- الرضا بمحمد رسولا صلى الله عليه وسلم تعجز عنه العبارة وتخور عنده الإشارة فهو سيد الورى وصبح الدجى والرجل الذي اختاره الله على العالمين

13- الرضا بالرسول صلى الله عليه وسلم يعني محبته والشوق لرؤيته والاعجاب به، لو لم يكن رسول الله مختارا من الله لكان رجلا عظيما بكل المقاييس.

14- الرضا بالرسول ان ترضى به حكما في خصوماتك وفي حياتك وفي دينك وان ترضى به قائدا لك ومعلما لك وهاديا لك.

15- الرضا بالرسول صلى الله عليه وسلم ان تتعرف عليه وتقترب منه وتتمسك بسنته وتحذر من الابتداع في دينه وان تعتدل في فهم حديثه فلا غلو ولاشطط ولا غلط.

16- الرضا بالرسول صلى الله عليه وسلم ان تجلس لحديثه وتستمع اليه وتشتاق لمعرفة كلامه وتحاول التعرف على معانيه وان استطعت فاحفظه وأعظم الرضا محبته.

17- «مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا» لم يطلب غير الله. قال تعالى: { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ 5 وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ} ([7]).

18- «وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا» يشمل الرضا بالإسلام وبما جاء به، والكفر بما سواه من الأديان

19- وَبِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم نَبِيًّا أي بجميع ما أرسل به وبلغه إلينا من الأمور الاعتقادية وغيرها.

20- فضل من قالها بعد النداء :

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ.. رواه مسلم

21- مَعْنَى الْحَدِيثِ لَمْ يَطْلُبْ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَمْ يَسْمَعْ فِي غَيْرِ طَرِيقِ الْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يَسْلُكْ إِلَّا مَا يُوَافِقُ شَرِيعَةَ مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – . وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتَهُ فَقَدْ خَلَصَتْ حَلَاوَةُ الْإِيمَانِ إِلَى قَلْبِهِ ، وَذَاقَ طَعْمَهُ.

22- ولذة الإيمان لا تشبه لذة الحرام، لأن لذة الإيمان لذة قلبية روحية. أما لذة الحرام فهي لذة شهوانية جسدية، ويعقبها من الآلام والحسرات أضعاف ما نال صاحبها من المتعه.

23- فإذا اتصف العبد بهذه الصفات، وتقرب إلى الله تعالى بالطاعات فلا شك أنه سيجد حلاوة الإيمان، كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.

والله اعلم .

صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً

سلسلة العقيدة الإصدار رقم (17)

أعدها أبو احمد العراقي